عصـــر تجميـــل الصـــــور وتزييـــف الحقائـــق

(وجهة نظر من خلال تطور العلاج النفسي)

أ.د خالد إبراهيم الفخراني
أستاذ علم النفس الاكلينيكي والإرشاد النفسي
fakhrany61@hotmail.com

لقد كان العلاج النفسي مرآة للمجتمع، حيث سلط المعالجين النفسيين الضوء على جوانب الحياة الاجتماعية التي كانت تمثل مشكلة خاصة في أوقات مختلفة

أطلق فرويد كلمة "الاضطهاد" على العصر الفيكتوري، كما أطلق روجرز وعدد من المعالجين على خمسينيات القرن السابق زمن "اضطراب الذات والهوية" نتيجة للتوسع الاقتصادي خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كما أطلق الكثير من المعالجين على الوقت الحالي المعاصر بعصر "الاكتئاب"

كان للعلاج النفسي دور نشط داخل المجتمع من خلال إعادة تشكيل الأفراد سواء كانوا مواطنين عاديين أو عمال أو مستهلكين أو مطلوبين للعدالة

في وقت Freud، كان عملاء العلاج بالتحليل النفسي من أفراد الطبقة المتوسطة والعليا، ولديهم وقت فراغ والمال الكافي، ومن ثم كان من المنطقي توفير علاج لا ينتهي خلال يوم واحد أو خلال أيام قليلة

أما خلال الوقت الراهن، تم توفير

لقد كان العلاج النفسي مرآة للمجتمع، حيث سلط المعالجين النفسيين الضوء على جوانب الحياة الاجتماعية التي كانت تمثل مشكلة خاصة في أوقات مختلفة. على سبيل المثال، أطلق فرويد كلمة "الاضطهاد" على العصر الفيكتوري، كما أطلق روجرز وعدد من المعالجين على خمسينيات القرن السابق زمن "اضطراب الذات والهوية" نتيجة للتوسع الاقتصادي خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كما أطلق الكثير من المعالجين على الوقت الحالي المعاصر بعصر "الاكتئاب". هذه بعض الطرق التي يعمل بها العلاج النفسي كمقياس لما يحدث في المجتمع. وبالإضافة الى ذلك، كان للعلاج النفسي دور نشط داخل المجتمع من خلال إعادة تشكيل الأفراد سواء كانوا مواطنين عاديين أو عمال أو مستهلكين أو مطلوبين للعدالة. على سبيل المثال، ركز التحليل النفسي، على التأثير المدمر من قبل الآباء والأمهات على أطفالهم، وهذا ما كان مطلوباً مع بداية القرن العشرين، وعندما جاء التقدم الاقتصادي والعلمي كان لزاماً على الأفراد القيام بأدوار عمل مختلفة تمامًا عن تلك التي كان يقوم بها آبائهم.

وخلال الستينيات، تطلب زيادة الاستهلاك من قبل الأفراد القيام بالتفكير والاختيار –الخصائص التي تم ترويجها من قبل كل العلاجات المعرفية التي ركزت على قيام العميل بمعالجة المعلومات الواردة اليه. ومع خطر زيادة الهيمنة الاقتصادية العالمية من جانب الصين، خلال العقد الأول من القرن العشرين، استدعيت العودة للقيم الأخلاقية والممارسات الروحية، وإلى طرق للحياة بصورة أكثر جماعية –وهذه الاتجاهات ظهرت خلال الشعبية التي حظي بها العلاج العقلاني والعلاج السردي. كما تم تحديد طرق تقديم العلاج النفسي من خلال العوامل الاجتماعية. ففي وقت Freud، كان عملاء العلاج بالتحليل النفسي من أفراد الطبقة المتوسطة والعليا، ولديهم وقت فراغ والمال الكافي، ومن ثم كان من المنطقي توفير علاج لا ينتهي خلال يوم واحد أو خلال أيام قليلة.

أما خلال الوقت الراهن، تم توفير العلاج النفسي من قبل هيئات صحية تساعد الأفراد على العودة لعملهم، وأصبح العلاج المختصر المحدد بزمن هو السائد.

ومن خلال ما ذكر، حول السياق الاجتماعي والثقافي للعلاج النفسي، وجد افتراضان أساسيان. الأول هو انتشار التعاسة بدرجة كبيرة، على الرغم من أننا جميعًا نستحق أن نكون سعداء. وانعكس هذا الافتراض في الأبحاث التي أجريت باستخدام قوائم الأعراض العالمية (كمؤشرات التعاسة) من أجل تقييم فعالية العلاج. أما الافتراض الثاني تمثل في أن التعاسة يمكن تصنيفها والتغلب عليها عن طريق تغيير أفكار الفرد.

لقد مر العلاج النفسي برحلة تاريخية طويلة، في المجتمعات الغربية، نحو الاتجاه الفردي القائم على الذات (Baumeister, 1987؛ Cushman 1990[2],1995[3]، Logan, 1987[4]). وهذا ما انعكس في أفكار وممارسات غالبية المدارس العلاجية، وفي انتشار ما وصفه جيرجن Gergen (1990)[5] بـ "لغة العجز" –قدرة علماء النفس والأطباء النفسيين والمعالجين النفسيين على وصف عدد لا يحصى من أنماط الاضطراب النفسي الوظيفي للأفراد.

ولذا أصبح العلاج النفسي قوياً ومؤثراً داخل المؤسسات الغربية. نتيجة لتحالف هذه العلاجات فيما بينها منذ البداية ومع الدواء المقدم من قبل الأطباء فيما بعد. وقد يرجع هذا جزئيًا إلى أن القادة والنخبة والسياسيين المهيمنين في المجتمعات الغربية قد تعرفوا على أنفسهم من خلال وعيهم ببعض أفكار العلاج النفسي. وقدروا قيمة العلاج المعرفي السلوكي (CBT) الذي يروج للفكرة القائلة بأنه من الضروري أن يكون الفرد عقلاني وقادرًا على التحكم في انفعالاته للمضي قدماً في حياته. وقد يعد ذلك منطقياً تمامًا بالنسبة لهم، لأنه يصف الأساس الذي بني عليه نجاحهم الفردي خلال حياتهم.

العلاج النفسي من قبل هيئات صحية تساعد الأفراد على العودة لعملهم، وأصبح العلاج المختصر المحدد بزمن هو السائد

لقد مر العلاج النفسي برحلة تاريخية طويلة، في المجتمعات الغربية، نحو الاتجاه الفردي القائم على الذات. وهذا ما انعكس في أفكار وممارسات غالبية المدارس العلاجية

أصبح العلاج النفسي قوياً ومؤثراً داخل المؤسسات الغربية. نتيجة لتحالف هذه العلاجات فيما بينها منذ البداية ومع الدواء المقدم من قبل الأطباء فيما بعد

أن السنوات العشرين الماضية قد شهدت تحولًا كبيرًا في ثقافة المجتمع، وفي أشكال العلاقة بين الأفراد بعضهم البعض وفي نظرتهم للعالم. ولقد مرت الثقافة الأوروبية بمرحلتين خلال تطورها

على مدار القرنين السابع عشر والثامن عشر، ساهمت كتابات فلاسفة التنوير، والتقدم العلمي والتكنولوجي، في حراك السكان من القرى للمدن، وساعد ذلك على تآكل المعتقدات الهرمية والدينية التقليدية، واستبدالها بنظام فكري أكد على العقلانية والبراهين العلمية والتقدم الاجتماعي

كان الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتارد أول من استخدم

مفهوم ما بعد الحداثة: منظور حول طبيعة الحياة الاجتماعية المعاصرة

هناك اتفاق بين علماء الاجتماع والفلاسفة، على أن السنوات العشرين الماضية قد شهدت تحولًا كبيرًا في ثقافة المجتمع، وفي أشكال العلاقة بين الأفراد بعضهم البعض وفي نظرتهم للعالم. ولقد مرت الثقافة الأوروبية بمرحلتين خلال تطورها.

في البداية، كان المجتمع خاضعًا إلى حد كبير لطرق الحياة الدينية والتقليدية التي تميزت بتغير أو حراك اجتماعي بطيء نسبيًا. وعلى مدار القرنين السابع عشر والثامن عشر، ساهمت كتابات فلاسفة التنوير، والتقدم العلمي والتكنولوجي، في حراك السكان من القرى للمدن، وساعد ذلك على تآكل المعتقدات الهرمية والدينية التقليدية، واستبدالها بنظام فكري أكد على العقلانية والبراهين العلمية والتقدم الاجتماعي. وخلال العصر الحديث (القرنين التاسع عشر والعشرين) تطور الإرشاد والعلاج النفسي. ومع نهاية القرن العشرين، بدأ يتضح للعديد من الأفراد بوجود فجوات في الأفكار الحديثة حول التقدم، أدت إلى الابتعاد عن الحقائق التقليدية والتوجه نحو عالم يضع كل شيء في موضع شك؛ ولا يمكن تصديقه. وكان الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتارد Jean François Lyotard (1984)[6] أول من استخدم مصطلح ما بعد الحداثة للتعرف على هذه الحركة الثقافية الجديدة، ولاحظ أن السمة الأساسية لها هي الشك فيما أسماه "بالسرد المفرط"، أو جمع أدلة كاملة عما يعتده الأفراد بأنها حقائق، كالماركسية

[1] **Baumeister, R.F.** (1987) How the self-became a problem: a psychological review of historical research, *Journal of Personality and Social Psychology*, 52(1), 163–76.

[2] **Cushman, P.** (1990) Why the self is empty: toward a historically-situated psychology, *American Psychologist*, 45, 599–611.

[3] **Cushman, P.** (1995) *Constructing the Self, Constructing America: A Cultural History of Psychotherapy*. Reading, MA: Addison-Wesley.

[4] **Logan, R.D**. (1987) Historical change in prevailing sense of self. In K. Yardley and T. Honess (eds) Self and Identity: Psychosocial Perspectives. Chichester: Wiley.

[5] **Gergen, K.J.** (1990) Therapeutic professions and the diffusion of deficit, Journal of Mind and Behavior, 11, 353–68.

[6] **Lyotard, J.F.** (1984) The Postmodern Condition. Manchester: Manchester University Press.

والتحليل النفسي والمسيحية وما إلى ذلك، واستبدالها بمعارف ذات حقائق نسبية وأكثر محلية. ونتيجة للمناقشات التي دارت في إطار علم الاجتماع حول معنى "ما بعد الحداثة"، انظر ليون (Lyon 1994)[7]، تم الاتفاق على أن " النظريات الكبرى" كالشيوعية والتحليل النفسي"، التي انتشرت على الصعيد العالمي لم تقدم سوى جانب واحد متجانس للواقع، كما أنها أصبحت أقل إقناعًا لكثير من الأفراد. وبدلا من هذه النظريات ظهرت الحركة البراغماتية، داخل المجتمعات. وتم الكشف عن الآثار التي ترتبت على هذا التحول في الإرشاد والعلاج النفسي من قبل كل من داونينج Downing (2000)[8]، وكفالي Kvale (1992)[9]، ولوفينثال وسنيل Loewenthal and Snell (2003)[10] وغيرهم.

مصطلح ما بعد الحداثة للتعرف على هذه الحركة الثقافية الجديدة

أن " النظريات الكبرى" كالشيوعية والتحليل النفسي"، التي انتشرت على الصعيد العالمي لم تقدم سوى جانب واحد متجانس للواقع، كما أنها أصبحت أقل إقناعًا لكثير من الأفراد. وبدلا من هذه النظريات ظهرت الحركة البراغماتية، داخل المجتمعات

وخلال العصر الحالي ومع التقدم العلمي والتوسع في العالم الافتراضي والاعتماد الكبير على الأجهزة الذكية والعالم الرقمي ونقل الصور وسهولة التلاعب بها لتزييف الحقائق، أصبح الصحيح خطأ والخطأ صحيح، وهذا ما أدى إلى إذكاء الحروب والصراعات التي نشاهدها الآن، لقد أوقع العالم الرقمي الإنسان في قيم الزيف والوهم والكذب، واستخدم تقنيات كثيرة مثل تقنية "التزييف العميق (Deepfake)" "لقلب حقائق الواقع حتى يصبح الكذب صدقا والوهم حقا، لدرجة استحالة التمييز بين الواقع المطبوع والواقع المصنوع، وهذا يعد انقلاب للقيم، فهذه التقنيات تتحدى الواقع لتصنع واقعا لها، متوسلة بكل معطيات الواقع الطبيعي والحقيقي من أجل صناعة واقعها.

خلال العصر الحالي ومع التقدم العلمي والتوسع في العالم الافتراضي والاعتماد الكبير على الأجهزة الذكية والعالم الرقمي ونقل الصور وسهولة التلاعب بها لتزييف الحقائق، أصبح الصحيح خطأ والخطأ صحيح، وهذا ما أدى إلى إذكاء الحروب والصراعات التي نشاهدها الآن

وحرم الإنسان من حقه في الارتقاء الوجداني والسمو الخلقي، إذ حصره في منظومة من الإجراءات التي تتميز بها الآلة صورة وضوء وشبكة وغيرها من المميزات الآلية التي تتسم بالجمود، لخلوها من المعاني التي تعطي الأفعال دلالتها الخلقية.

لقد أوقع العالم الرقمي الإنسان في قيم الزيف والوهم والكذب، واستخدم تقنيات كثيرة مثل تقنية "التزييف العميق (Deepfake)" لقلب حقائق الواقع حتى يصبح الكذب صدقا والوهم حقا، لدرجة استحالة التمييز بين الواقع المطبوع والواقع المصنوع، وهذا يعد انقلاب للقيم

هكذا تساهم الرقميات في تقزيم دلالة حياة الإنسان، وقصرتها على الدلالة المادية، مضيعة بذلك ما في الحياة من دلالات روحية تحقق للإنسان سموه وكماله وعلوه بشكل لا تحققه الدلالة المادية المحدودة.

كما أن انبهار الإنسان بفتوحات العالم الرقمي وإنجازاته التي لم يشهدها التاريخ من قبل جعلته يدخل في غيبوبة جمدته على واقعه، بحيث فقد معها القدرة على تحسس كل جوانب زمنه فضلا عن استشراف مستقبله، فأضحى جامدا في محله غير قادر على الحركة ليرى موقعه داخل الكون.

وبذلك ينتفي كل معنى للقيم، إذ يصبح فعل التضحية مثلا بلا معنى، لأنه ليس إجراء ولا تقنية، فضلا عن غياب كل مكسب مادي من ورائه، فالزمن الرقمي لا يرسخ في الكائنات ربحا أعظم من الربح المادي، بحيث يصبح الربح المعنوي بلا قيمة ولا مضمون.

وهكذا، يكون الإنسان قد تنازل عن روحه التي ترتقي به إلى أعلى مراتب إنسانيته، كما يكون قد تخلى عن شعوره الذي يسمو به إلى أزكى معاني حياته.

لقد جعل الزمن الرقمي البشر مجرد كائنات تنفيذية بمعزل عن أهم مميزين للإنسان، وهما الحرية والاختيار، فالكينونة التنفيذية التي ألبسه إياها هذا الزمن جعلته خاضعا للبرمجة مثله مثل الأجهزة المصنوعة، وما دام قد برمج يكون قد خرج من طوره الإنساني المميز بالحرية إلى طوره الرقمي المميز

[7] **Lyon, D.** (1994) *Postmodernity*. Buckingham: Open University Press.

[8] **Downing, J.N.** (2000) *Between Conviction and Uncertainty: Philosophical Guidelines for the Practicing Psychotherapist*. Albany, NY: State University of New York Press.

[9] **Kvale, S. (ed.)** (1992) *Postmodernism and Psychology*. London: Sage

[10] **Loewenthal, D. and Snell, R.** (2003) *Post-modernism for Psychotherapists: A Critical Reader*. London: Brunner-Routledge.

بالحتمية، وبذلك يصبح كائنا تنفيذيا ينفذ ما شاءه منه مبرمجه وفق توليفة معينة تكون أشبه بما تفعله الخوارزميات في البرامج الحاسوبية.

وإضافة إلى ما سبق، فالانقلابات الجوهرية التي أحدثها الزمن الرقمي في الإنسان عدم اكتفائه باقتحام فضائه العام، إذ صار إلى اقتحام فضائه الخاص أكثر إصرارا، وذلك عن طريق استدراجه عبر وسائل التواصل الاجتماعي و"الميتافيرس" إلى فضح كل خصوصياته وحميمياته جلبا لأكبر عدد من المشاهدات والتعليقات والاستيطان في الإنترنت بواسطة "الأفاتارات"، وبالتالي طمعا في أكبر قدر من الأرباح والعائدات.

وبذلك انتقل الإنسان من طور الطي والستر إلى طور الفضح والنشر، وتعذر عليه في حال ندمه – وهذا شعور إنساني نبيل– استئناف حياته بطريقة عادية، لأنه بات كائنا مفضوحا تلاحقه فضائحه أينما سار وذهب، وتُذكّره ذاكرات الرقميات بما كان يفتخر به وصار إلى التواري منه حين استرجع عمقه الإنساني، ولكن ذلك التواري قد خرج عن ملكه لكونه تنازل عن حقه في امتلاك خصوصياته متى ملّكها غيره من الناظرين والمتابعين، ونتيجة لذلك يفقد حتى حقه في طريق العودة إلى صافي إنسانيته وخالص آدميته.

انطلاقا مما سبق ومن مبدأ حرية الإنسان فإن الذكاء الاصطناعي لا يمكن أن يتحمل مسؤولية ولا أن يعبر عن إرادة كشأن بني آدم، فهل تتحمل الآلة الرقمية مسؤولية الخطأ الطبي حالة وقوعه؟ وهل سيتدخل القانون لعقابها وجزائها؟ وحتى لو فُرِض وقوع هذا العقاب فما الجدوى منه؟ وهل ستبقى للقانون سلطة أو قيمة أو حكمة في مستقبل عالم تحكمه الرقميات؟[11]

المحدودة

أن انبهار الإنسان بفتوحات العالم الرقمي وإنجازاته التي لم يشهدها التاريخ من قبل جعلته يدخل في غيبوبة جمدته على واقعه، بحيث فقد معها القدرة على تحسس كل جوانب زمنه فضلا عن استشراف مستقبله، فأضحى جامدا في محله غير قادر على الحركة ليرى موقعه داخل الكون

لقد جعل الزمن الرقمي البشر مجرد كائنات تنفيذية بمعزل عن أهم مميزين للإنسان، وهما الحرية والاختيار، فالكينونة التنفيذية التي ألبسه إياها هذا الزمن جعلته خاضعا للبرمجة مثله مثل الأجهزة المصنوعة

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.FakhranyPostModernity.pdf

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2023 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار hgehge عشر)

الشبكة تدخل عامها 23 من التأسيس و 20 على الويب

23 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

التحميل من الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf

[11] https://1-a1072.azureedge.net/